﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧١﴾

[الأعراف: 171]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ذِكْـرُ مَـنْ أخـذَ بالكتابِ رهبةً، بعـد ذِكْـرِ مَـنْ تَمَسَّكَ بِهِ رغبةً

لَمَّا ذكرَ النَّظمُ الكريمُ أنَّه رهَّب بني إسرائيل من مُخالفةِ الكتاب، ورغَّبهم في مُؤالفته، وكان عذابُ الآخرة مُستقبلًا وغائبًا، ذكَّرهم بترهيبٍ دُنْيَويٍّ مضى إيقاعُهُ بهم، ليأخذوا مواثيقَ الكتاب لغاية الجدِّ، فقال: ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ﴾[1]، كما أنَّه لمَّا ذَكَرَ حال من تَمَسَّك بالكتابِ، واعتصم به طَوْعًا في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ [الأعراف: 170]، ذَكَرَ من تَمسَّك به كُرْهًا من أسلاف اليهودِ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَتَقۡنَا﴾: أي: زَعْزَعْناهُ، واقتلعناهُ من أصلِه، من نَتَقَ الشَّيءَ يَنْتِقُهُ ويَنْتُقُهُ نَتْقًا؛ إذا جذبهُ واقتلعَهُ[3]، وأصلُ نتقَ يدلُّ على جَذْبِ شَيْءٍ وَزَعْزَعَتِه وَقَلْعِه مِنْ أَصْلِه[4]، يُقال: نتقْتُ السِّقاءَ؛ إذا نفضْتَهُ لِتَقلَعَ منه زُبْدَته[5]، والنَّتْقُ أيضًا: الرَّفعُ[6]: والمعنى هُنا: إذ اقتلعنا الجبلَ، فرفعناهُ فوقَ بني إسرائيل[7]، وفي لسانِ العربِ: "وكان نَتْقُ الجبلِ، أنَّه قُطِعَ منه شيءٌ، على قدر عسكر موسى، فأظلَّ عليهم، قال لهم موسى: إمَّا أن تقبلوا التَّوراة، وإمَّا أن يسقطَ عليكم"[8].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 149/8.
(2) النيسابوريّ، غرائب القرآن: 340/3، وابن عجيبة، البحر المديد: 277/2.
(3) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، وابن منظور، لسان العرب: (نتق).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نتق).
(5) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 174.
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (نتق).
(7) ابن جرير، جامع البيان: 217/13.
(8) ابن منظور، لسان العرب: (نتق).

2) ﴿ظُلَّةٌ﴾: الظُّلَّة قطعةٌ من السَّحاب؛ لأنَّها تُظِلُّ من تحتها[1]، وجَمْعُها ظُلَلٌ، وتُطلق الظُّلَّةُ عند العرب على أَوَّلِ سَحَابَةٍ[2]، وأكثرُ مَا تُقالُ فِيمَا يُسْتَوْخَمُ ويُكْرَهُ[3]، وأصلُ (ظَلَلَ) يدلُّ على سَترِ شَيءٍ لِشيءٍ[4]، فكلُّ مَا غطَّى، وستَرَ؛ فقد أظلَّ[5]، والمعنى هُنا: كأنَّهُ لِارتِفاعِهِ سَحابَةٌ تُظِلُّ[6]، وقيل: عذابُ يوم الظُّلَّة؛ لأنَّ اللّٰه جلَّ وعزَّ، بعثَ غمامةً حارَّةً، فأطبقت عليهم، وهلكوا تحتها، وكلُّ ما أطبقَ عليك فهو ظلَّةٌ، وكذلك كلُّ ما أظلَّكَ[7].

3) ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾: أيقنوا، يُقال: ظَنَنْتُ ظَنًّا، أَيْ: أَيْقَنْتُ، والظَّنُّ في العربيَّة على وجهين: شَكٌّ، ويقين، فربَّما عبَّروا عن اليقين بالظَّنِّ، وقد جاء في القرآنِ كذلك[8]، وأصلُ (ظنَّ) يَدُلُّ عَلَى معنَيين مُختلِفين: يقينٍ وشكٍّ[9]، فالمعنى هُنا: أيقنوا أنَّ الجبلَ واقعٌ بهم[10].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ذِكْرُ ما وقعَ من تهديدِهم بنتقِ الجبلِ، وأَمْرُهُم بالالتزامِ وتقوى اللهِ

واذكرْ - أيُّها الرَّسول - إذ اقتلعْنا الجبل، فرفعناهُ فوق بني إسرائيل، لَمَّا امتنعوا من قَبول ما في التَّوراةِ، فصارَ الجَبَلُ كأنَّه سحابةٌ، تُظِلُّ رؤوسَهم، وأيقنوا أنَّه ساقطٌ عليهم، وقيل لهم: خذوا ما أعطيناكم من هدًى في التَّوراة بِجِدٍّ وعزمٍ على الطَّاعةِ، واذكروا ما في كتابِنا من العهودِ والمواثيقِ والأحكامِ الَّتي شرعَها

(1) السَّمين الحلبيُّ، عُمدة الحفَّاظ: (ظلل).
(2) الجوهريُّ، الصِّحاح: (ظلل).
(3) الرّاغب، المفردات، والزّبيديّ، تاج العروس: (ظلل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ظلَّ).
(5) الهائم، التبيان، ص: 126، والسِّجستاني، غريب القرآن، ص: 325.
(6) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 313/7.
(7) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: 258/14.
(8) الجوهريُّ، الصِّحاح، والصَّاحب ابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (يقن).
(9) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: 462/3.
(10) العليميّ، فتح الرّحمن في تفسير القرآن: 276/6، والماتريديّ، تأويلات أهل السّنة: 81/5.

اللّه لكم، ولا تنسوه رجاءَ أن تتَّقوا اللّه؛ إذا قمتُم بذلك، فتنجوا من عقابِهِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ العطفِ بالواوِ في قولِهِ: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾:

التَّذكيرُ والعبرةُ بـذكـرِ قـصـصِ بني إسرائيلَ، وفضائحِ سلفِهم وخلفِهم

الآيةُ الكريمةُ معطوفةٌ على ما سبقَ من أحوال بني إسرائيلَ[2]، حيثُ عادَ السِّياق إلى العبرةِ بذكرِ قصصِ بني إسرائيلَ مع موسى عليه السلام لأنَّ قصَّةَ رفْعِ الطُّور عليهم من أمَّهات قصصهم، وضمائرُ الجمع في الآية كلُّها يُرادُ بها بنو إسرائيلَ الَّذين كانوا مع موسى بِقَرِينَةِ المقَامِ[3]، وقد ذُكِرَتْ هذه القصَّةُ بعد قصَّةِ قريةِ الَّذين اعتدوا في السَّبت، وخبرِ إيذان بني إسرائيلَ بمن يسومهم سوءَ العذابِ، فحَسُنَ العطفُ بذكرِ قصَّة فضيحةِ أسلافِهم، تذكيرًا ببعض رذائلِ اليهودِ وفضائحهم المتنوِّعةِ منذ الزَّمنِ الأوَّل، وكونِهم مشتركينَ متشابهين فيها.

دلالةُ القيدِ بلفظِ (إذ) الظَّرفيَّةِ:

إلـزامُ اليـهـودِ امـتـثـالَ أوامـرِ اللهِ، واتِّباعَ دينِهِ

(إذْ) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾، ظرفيَّةٌ حينيَّةٌ مُتعلِّقةٌ بالفعل المقدَّر (اذكر)[4]، أي: واذكر - يا محمَّدُ - وذَكِّر بني إسرائيلَ المعاصرين لك وقتَ أن رفعْنا الجبلَ فوقَ آبائِهم الَّذين كانوا في عهد موسى[5]، حيثُ ذكرت هذه الآية طرفًا من رذائل اليهود، فلمَّا قرأ عليهم موسى التَّوراةَ، أو لمَّا أخبرهم بالوصايا والتَّعاليم الَّتي في الألواحِ؛ بادروا نبيَّهم بأنَّ ما فيها لا يتحمَّلونه؛ لأنَّه إصرٌ وحِمْلٌ

(1) لجنة من عُلماءِ الأزهر، المنتخَبُ في تفسير القرآنِ الكريم، ص: 234، ونُخْبة من أساتذة التَّفسير، التَّفسير المُيَسَّر، ص: 173، وجماعَةٌ من علماء التَّفسير، المُخْتَصَر في تفسير القرآن الكريم، ص: 173.

(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 92/5، وطنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 428/5.

(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 165/9.

(4) أحمد عبيد الدّعّاس، إعراب القرآن الكريم: 406/1.

(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 92/5، وابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 165/9، وطنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 428/5.

ثقيلٌ عليهم لا يطيقونه، وكان هذا منهم عِنَادًا، فحملهم اللّٰهُ على العملِ بما في التَّوراةِ، بأن نتقَ الجبلَ فوقَهم، ورفعَهُ رفعًا حقيقيًّا، كأنَّه ظُلَّةٌ[1]، والغرضُ من هذا التَّذكيرِ، إلزامُ اليهودِ والرَّدُّ عليهم في قولهم: إنَّ بني إسرائيلَ لم يصدر منهم مخالفةٌ في الحقِّ[2].

سِرُّ اصطفاءِ الفعلِ ﴿نَتَقْنَا﴾:

بيانُ شُمولِ الفعلِ (نَتَقَ) لمعاني الشِّدَّةِ والقوَّةِ في القلعِ والرَّفعِ

عند التَّحقيقِ نجدُ اختلافًا بين (نتق) و(رفع)؛ لأنَّ الجبلَ راسٍ في الأَرض، وممسوكٌ كالوتد، وقد أرسى ربُّنا الجبال، وجعلها في الأرض أوتادًا، والوَتد - كما نعلم - ممسوكٌ من الموتود، والمثْبت فيه، لذلك يحتاجُ قبل أن يُرفعَ إلى عمليَّةِ نزعٍ واقتلاعٍ من الأرض، ثُمَّ يأتي من بعد ذلك الرَّفعُ، و﴿نَتَقْنَا﴾ تعني: نزعْنا الجبلَ من مكان إرسائه، حتَّى نرفعَهُ، يدلُّ عليه قولُهُ بعدها: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ باعتبارِ تضمُّنِهِ لمعنى رفعنا، كأنَّهُ قيل: رفعْنا الجبلَ فوق بني إسرائيلَ بنتقهِ وقلعهِ من مكانه، فالنَّتقُ من مُقدِّمات الرَّفع، وسببٌ لحصوله[3]، وقد رفعَهُ اللّٰهُ ليجعل منه ظُلَّةً عليهم، أي: هناكَ ثلاثُ عمليَّاتٍ: نَتْقٌ، أي: نزْعٌ وخلْعٌ، ثمَّ رفْعٌ، ثُمَّ جَعْلُهُ سبحانه ظُلَّةً لهم، وهذا يحتاج إلى اتِّجاهٍ في المرفوع إلى جهةٍ مَا[4]، فلفظ ﴿نَتَقْنَا﴾ فيه معنى الرَّفعِ وزيادة، فإنَّها لا تكون إلَّا في رفع الثَّقيلِ الَّذي لا يستطيعهُ إلَّا الأقويَاءُ، فمِنَ الألفاظ العربيَّة ألفاظٌ تحملُ في نفسها الشِّدَّة والقوَّة في دلالتها، فلا نقولُ: نتقتُ العصا، أو نتقتُ السَّيف، ولكن نقول: نتقتُ الجبلَ، أو نتقتُ أطنانَ الحديدِ[5].

دلالةُ انتخابِ نونِ العظمةِ في التَّعبيرِ ﴿نَتَقْنَا﴾:

الزِّيادةُ في التَّرهيبِ المُفضي إلى الإجلالِ والامتثالِ

قولُ اللّٰهِ تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾، أتى بنونِ العَظَمةِ

(1) عبد الله شحاتة، تفسير القرآن: 1623/9.
(2) القنوجيّ، فتح البيان: 610/2.
(3) البروسويُّ، روح البيان: 271/3.
(4) الشَّعراويُّ، تفسير الشَّعراويّ: 4431/7.
(5) محمَّد أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3001/7.

وضميرِ الكبرياء في نَتَقْنَا لزيادةِ التَّرهيبِ[1]، فضميرُ العظمةِ يكونُ للدَّلالة على التَّعظيم والإجلالِ، واللهُ سبحانه هو المستحقُّ لكمال العظمة والجلال؛ فالنَّاتقُ لهذا الجبلِ العظيم، هو رَبُّ العِزَّةِ والجلال الَّذي ذَلَّت لجبروتِهِ الصِّعاب، ولانت لقُدرتِهِ الشَّدائد الصِّلاب.

دلالةُ اللَّامِ في لفظةِ ﴿ٱلْجَبَلَ﴾:

تحديدُ اللَّفظةِ وتعيينُها للطُّورِ المذكورِ والمعهودِ في أذهانِهم

لفظُ ﴿نَتَقْنَا﴾ يُرادُ به الرَّفع بقرينة ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ وذِكْرِهِ مُصرَّحًا في موضعٍ آخر، وهو قولهُ تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: 63] الآية؛ فَعُلِمَ منه أنَّ الجبلَ هو الطُّورُ، فاللَّامُ للعهد الذِّهني[2]، فعَرَّفَ الْجَبَلَ لمَعرفَتِهم به[3]، فهو معلومٌ لدى بني إسرائيل؛ فالتَّعريفُ للجبل حَدَّد الكلمةَ وعَيَّنها، وهذا من دلالةِ التَّعريفِ في العربيَّة.

نُكتةُ استعمالِ كلمةِ ﴿ٱلْجَبَلَ﴾ في هذا الموضعِ و(الطُّور) في غيرِه:

التَّعبيرُ بالجبلِ للدَّلالةِ على الشِّدَّة والتَّخويفِ، المُناسب للتَّعظيم والتَّهويلِ

وردَ ذكرُ هذه الحادثةِ الواقعة لبني إسرائيل، في البقرةِ والنِّساء والأعراف، فَذُكِر الجبل بلفظ الطُّور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة: 63]، وفي قولهِ في سورة النِّساء، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ [النِّساء: 154]. وفي موضع الأعرافِ جاءَ بلفظ الجبل ﴿*وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾، والجبلُ هو اسمٌ لما طالَ، وعظُم من أوتادِ الأرض، وعادة ما تُذكر الجبالُ في القرآن في موقع التَّهويل والتَّعظيم، فعبَّرَ به لدَلالةِ لفْظِهِ على الصُّعوبةِ والشِّدَّة، دونَ (الطُّور)؛ لأنَّ السِّياقَ لبيانِ نَكَدِهم بإسراعِهم في المعاصي الدَّالَّةِ على غِلظِ القَلبِ[4]، ولم يقلِ: الطُّورَ؛ فالنَّتقُ والجبل أشدُّ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 150/8.
(2) القونويّ، حاشيَته على تفسير البيضاوي: 541/8.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 150/8.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 150/8.

تهديدًا وتهويلًا، كما أنَّه ذكر أنَّه رفعَهُ فوقهم ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾، وذَكَرَ ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمْ﴾، وفي حمل الشَّيءِ والتَّهديد للرَّمي به من الإخافة والتَّهديد، ما ليس في ذِكْرِ مُجَرَّد الرَّفع للطُّور في سورتي البقرة أو النِّساء.

سِرُّ التَّعبيرِ بالفوقيَّةِ في ﴿نَتَقْنَا﴾:

تـخـصـيـصُ الـرَّفـعِ بجهةِ العُلوِّ الخاصَّةِ بمعسكرِهم

﴿فَوْقَهُمْ﴾ ظَرْف لـ﴿نَتَقْنَا﴾، أو حال مقدَّرةٌ من الجبلِ، والعامل فيها محذوفٌ، تقديره (كائنًا فوقهم)؛ إذ كانت حالةُ النَّتق لم تُقارن الفوقيَّة، لكنَّه صار فوقهم[1]، فهي مخصَّصةٌ للرَّفع ببعض جهات العلوِّ[2]، كما أنَّ في ذكر هذا الظَّرف بيانًا لقهرهم وإذلالهم.

دلالةُ حذفِ الجَارِّ (مِنْ) في قوله: ﴿فَوْقَهُمْ﴾:

بيانُ استغراقِ الجبلِ لجميعِ الجهةِ الموازيةِ لمعسكرِهم

قولهُ تعالى: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ أي: رفع اللَّهُ الطُّورَ على رُؤوسِهم، مِقدارَ عسكرهم، وكان فرسخًا في فرسخ[3]، فانقلع الجبلُ من أصلهِ حتَّى قامَ على رؤوسهم، بحيثُ حاذى مُعسكرهم جميعًا، ولم يبقَ منهم أحدٌ إلَّا والجبلُ فوقَهُ، فلمَّا كان مُستغرقًا لجميع الجهة الموازيَةِ لعساكرهم، حَذَف الجَارَّ، فقال: ﴿فَوْقَهُمْ﴾[4]؛ لأنَّ حرف الجرِّ (من) لو ذُكِرَ هنا لأَوْهَمَ معناهُ أن يكون النَّتقُ ابتداءً من العلوِّ، ولايشمل الجهاتِ الأخرى حينئذٍ، والتَّشبيهُ اللَّاحق قد تولَّى بيانَ كلِّ الجهات من جهة العلوِّ، وهو تعبيرٌ عن إحاطةِ القهر.

الدَّلالةُ البلاغيَّةُ لموقعِ ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ بعد ﴿فَوْقَهُمْ﴾:

بيانُ كونِ الجبلِ قد أظلَّهم ووسعَهم مرفوعًا فوقهم

﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ أي: سقفٌ، فبَيَّن أنَّه كان أكبر مِنْهُم[5]، والمعنى: كأنَّه حالة ارتفاعهِ عليهم ظُلَّةٌ من الغمام[6]، "قال مجاهدٌ: أُخرِجَ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 217/5.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 92/5، والعكبريُّ، التّبيان في إعراب القرآن، ص: 173.
(3) الزَّمخشريُّ، الكشَّاف: 175/2.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 150/8.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 150/8.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 217/5.

الجبلُ من الأرض، ورُفِعَ فوقهم كالظُّلَّة، فقيل لهم: لَتُؤْمِنُنَّ، أو لَيَقَعَنَّ عليكم، قال قتادة: نزلوا في أصل جبلٍ، فرُفع فوقَهم، فقال: لَتأخُذُنَّ أمري، أو لَأرمينَّكُم به"[1].

بلاغةُ الصُّورةِ التَّشبيهيَّةِ في قوله: ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾:

بيانُ الخصوصيَّةِ في كونِ الظُّلَّةِ ليست على عَمَدٍ، وأنَّها عذابٌ لا رحمةٌ

(الكاف) من كَأَنَّهُ، في موضعِ نصبٍ على الحال، أي: نَتَقْناهُ مُشْبِهًا الظُّلَّةَ، أي: في هذه الحال[2]، وينبغي أن يُحمَل التَّشبيهُ على أنَّه بِظُلَّةٍ مخصوصة؛ لأنَّه إذا كان كلُّ ما أظلَّ يُسمَّى ظُلَّةً، فالجبلُ فوقهم صار ظُلَّةً، وإذا صار ظُلَّةً؛ فكيف يُشَبَّهُ بظلَّةٍ؟ فلو لم يكن المُرادُ بالظُّلة الفردَ الخاصَّ؛ لزمَ تَشبيهُ الشَّيءِ بِنَفْسه[3]، فالمعنى: كأنَّه حالةَ ارتفاعِهِ عليهم ظُلَّةٌ من الغمام، وهي الظُّلَّةُ الَّتي ليست تحتها عَمَدٌ، بل إمساكها بالقدرةِ الإلهيَّة، وإن كانت أجرامًا، بخلاف الظُّلَّةِ الأرضيَّةِ، فإنَّها لا تكونُ إلَّا على عَمَدٍ، فلمَّا كانت هذه الظُّلَّةُ الأرضيَّةُ فوقَهم بلا عَمَدٍ، شُبِّهت بِظُلَّة الغمام الَّتي ليست بلا عَمَدٍ[4]، فإن قيل: إذا كان الجبلُ ظُلَّةً حقيقةً، فما معنى: كأنَّه؟ فالجوابُ: أنَّ البشرَ إنَّما اعتادوا هذه الأجرامَ الأرضيَّةَ ظُلَلًا، إذا كانت على عَمَدٍ، فلمَّا كان الجبلُ على غيرِ عمدٍ، قيل: كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ، أي: كأنَّه على عَمَدٍ[5]، وثمَّةَ معنًى آخر لهذه الصُّورَةِ التَّشبيهيَّةِ، وهي أنَّ تظليلَ الغَمامِ كان رحمةً لهم من قَبْلُ، وصار الجبلُ ظُلَّةَ عذابٍ عليهم في هذا الموقع[6].

دلالةُ الواوِ في ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾:

تنويعُ المعاني بحسبِ دلالتِها ووجوهِها الإعرابيِّ

قوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾، أي: ووقع في نفوسِهم أنَّ الجبلَ ساقطٌ عليهم، إذا لم يستجيبوا لما أمرهم به نبيُّهم ﷺ، وجملة

(1) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 166/2.
(2) مكّي، الهداية إلى بلوغ النّهاية : 4/2619.
(3) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 541/8.
(4) أبو حيَّان، البحر المحيط: 217/5.
(5) ابن عطيَّة الأندلسيّ، المحرَّر الوجيز: 474/2.
(6) الشَّعراويّ، تفسير الشَّعراويّ: 4431/7.

﴿وَظَنُّوٓاْ﴾، فيها أوجهٌ: أحدُها: أنَّه في محلِّ جَرٍّ، نسقًا على ﴿نَتَقْنَا﴾، المخفوضِ بالظَّرف تقديرًا، فيكون المعنى: رَجَّحُوا، أو أيقنوا الآن رَفْعَهُ على أن يقع عليهم، إنْ لم يقبلوا التَّوراة ﴿أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾، والثَّاني: أنَّه حالٌ بتقدير (قد)، وصاحب الحال الجَبل، أي: كأنَّه ظلَّةٌ في حال كونهِ مَظْنونًا وُقوعُهُ بهم، والثَّالث: أنَّه مُستأنفٌ فلا محلَّ له[1]، فتكون الجملةُ مُستأنفةً لا محلَّ لها، و(أنَّ) وما في حيِّزها سدَّتْ مسدَّ مفعولي ظنَّ[2]، وعلى كلِّ وجهٍ من الوجوهِ الثَّلاثةِ معنًى، والمعاني الَّتي تنتجُها وجوهُ الإعراب ليست متعاندةً، بل هي متعانقةٌ، والرَّسم واحدٌ، وهذا وجهٌ من وجوه الإيجازِ والإعجازِ؛ فعلى النَّسقِ على ﴿نَتَقْنَا﴾ يكون ارتباطُ تيقُّنهم بوقوعهِ عليهم، مقارنًا للنَّتق، وعلى كونِ الجملة حالًا من الجبل يكون توجيهُ المعنى إلى محلِّ الخوفِ والرُّعب، وعلى الاستئنافِ يكونُ معنًى بعد حدوث النَّتقِ، فكلُّها معانٍ متعانقةٌ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بفعلِ الظَّنِّ في: ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾:

يُستعمَل الظَّنُّ في اليقين، متى كان ذلك المتيقَّنُ لم يخرج إلى الحواسِّ

قولهُ تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾، قيل معناها: تيقَّنوا أنَّهُ ساقطٌ عليهم؛ لأنَّ الجَبَلَ لا يثبُت في الجوِّ؛ لأنَّهم كانوا يُوعَدون به، وإطلاقُ الظَّنِّ في الحكاية لعدمِ وقوعِ متعلَّقِهِ، وذلك أنَّهم أبوا أن يقبلوا أحكامَ التَّوراة لثِقلها، فرفع الله تعالى عليهم الطُّورَ، وقيل لهم: إن قبِلتم ما فيها، وإلَّا لَيقعَنَّ عليكم[3]، فتيقَّنوه لمَّا عاينوا من ارتفاعه عليهم[4]، فعبَّر بالتَّيقُّن للتَّرويج، ولأنَّ مثل هذا حَقُّهُ اليقينُ والتَّخلُّفُ؛ وعدمُ وقوعِ مُتَعَلَّقِهِ لُطْفٌ من الله تعالى[5]، وقيل: إنَّ الظَّنَّ هُنا على أصله؛ إذ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 93/5، وطنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 428/5.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 491/3.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 289/3.
(4) الماورديّ، النُّكت والعيون: 276/2، والآلوسيّ، روح المعاني: 92/5.
(5) القونويّ، حاشيَته على تفسير البيضاوي: 541/8.

الموضع مَوْضِعُ غلبةِ الظَّنِّ مع بقاء الرَّجاء، وكيف يوقنونَ بوقوعه وموسى عليه السلام يقول: إنَّ الرَّميَ به، إنَّما هو بشرط ألَّا يقبلوا التَّوراةَ؟ والظَّنُّ إنَّما يقعُ ويُستعمل في اليقين متى كان ذلك المتيقَّن لم يخرج إلى الحواسِّ[1]، فقويَ في نفوسهم أنَّه واقعٌ بهم إن خالفوه، وهذا هو الأظهرُ في معنى الظَّنِّ[2]، كما أنَّ هذا الظَّنَّ كان بعد أن أدنى اللّٰهُ الجبلَ من رؤُوسهم، إذ هم قبلَ ذلك وحين كان مُرتَقًا كالسَّحابة، توهَّموا أنَّ رفْعَ الجبل فوقهم لمجرَّد التَّخويف، فقالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: 93].

مرجعُ الضَّميرِ في ﴿ظَنُّواْ﴾ و﴿بِهِمْ﴾:

بـيـانُ فـظـائـعِ بني إسرائيلَ، ومخالفاتِهم نَبيَّهم في مراحلِ الدَّعوةِ

جاءَ بيانُ هذا الحدثِ بأسلوبِ الحديثِ عن الغائب، ضمن حكاية طائفةٍ من قصصِ بني إسرائيلَ وأحداثِهم؛ وفي التَّعبيرِ بالغائبِ إحالةٌ إلى ما مضى في السُّورةِ من فظائعِهم وقبائحهم؛ إذ الضَّميرُ بطبعهِ يُحيل على ما مضى، من أوَّل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأعراف: 101]، وما تلاها من الآياتِ الكاشفات عن مفاسدِهم بما لم تجمعْهُ سورةٌ أخرى، اتِّساقًا مع سورةِ الأعرافِ الَّتي مقصودُها الإنذار والتَّذكيرُ، إلى هذه الآيةِ حتَّى "رفع اللّٰهُ فوقَ محلَّتهم النَّازلين بها في سيناء جبل الطُّور، لرفضهم إعطاءَ العهدِ على الالتزام بشريعةِ اللّٰهِ، وقال لهم موسى عليه السلام بلاغًا عن ربِّه: (خذوا ما آتاكم اللّٰهُ من وصايا وأحكام في كتابه بقوَّةٍ، وعاهِدوا على العمل بما جاء فيه، أو يلقي اللّٰهُ هذا الجبلَ عليكم، فيهلكَكم)، عندئذٍ ذهبت عنهم أوهامُ ميوعةِ الدَّلالِ، وتكشَّفت لهم حقيقةُ

(1) ابن عطيَّة، المحرّر الوجيز: 474/2.
(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 397/15.

جبروتِ الرَّبِّ، وسطوةِ انتقامِه؛ فمَن لم يَنْقَدْ إلى اللهِ بمُلاطفةِ الإحسان؛ قُيِّدَ إليه بسلاسلِ الامتحانِ[1].

دلالةُ التَّوكيدِ بالأداةِ (أنَّ)، واسميَّة الجملةِ:

ترسيخُ مضمونِ الجملةِ في ذهنِ السَّامعِ، ودفعُ التَّوهُّمِ

قولُهُ تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾، أي: وظنُّوا ظنًّا قويًّا - إذ دنا الجبلُ من رؤوسِهم - أنَّه واقع عليهم، ومختلطٌ عند وُقُوعِهِ بأجسادهم، مُهْلِكًا ساحقًا، فأُكِّدت هذه الجملة بـ(أنَّ) لترسيخِ مضمونها في ذهنِ السَّامع، ودَفْعِ توهُّم عدمِ وقوع الجبل عليهم، إن لم يمتثلوا أمر ربِّهم.

سِرُّ التَّعبيرِ بـ﴿وَاقِعٌۢ﴾ على القول (سيقع):

الخوفُ كان مُستوليًا عليهم أوَّلَ الأمرِ عند نتقِ الجبلِ

قوله تعالى: ﴿وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾: أشارَ إلى أنَّ (واقعًا) بمعنى المُستقبل بقرينةِ الفعلِ ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾، وإنْ كان الأصلُ كونَ اسم الفاعل بمعنى الماضي[2]، يشيرُ إلى شعور الخوف الَّذي كان مُستوليًا عليهم أوَّلَ الأمر، من هذا الجبلِ الَّذي قامَ فوقهم، وأنَّه إذا وقعَ لم يقع عليهم وحسب، بل إنَّه سيحملُهم معه، ويهوي بهم إلى الأرضِ[3].

سِرُّ التَّعبيرِ بحرفِ الباءِ في ﴿بِهِمْ﴾:

الإشارةُ إلى اللُّصوقِ بهم، وقربِهِ من رؤوسِهم

في قَولِه: ﴿وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾، عُدِّيَ وَاقِعٌ بالباءِ؛ للدَّلالةِ على أنَّهم كانوا مستقرِّينَ في الجبلِ؛ فهو إذا ارتفَعَ وقَعَ ملابسًا لهم، ففتَّتَهم، فهم يرَونَ أعلاهُ فوقَهم، وهم في سَفْحِه، وهذا وجهُ الجمعِ بين قولِه: ﴿فَوْقَهُمْ﴾، وبين باءِ المُلابسةِ[4]، فلمَّا كان ما تقدَّم قد حقَّق العُلُوَّ؛ لم يحتج إلى حرف الاستعلاءِ، فقال مشيرًا إلى السُّرعةِ واللُّصوقِ: ﴿بِهِمْ﴾[5].

---

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 412/2.

(2) القونويّ، حاشيَته على تفسير البيضاوي: 541/8.

(3) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 513/5.

(4) وقيل: إنَّ الباءَ بِمَعنى على، كما في قوله: ﴿إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ وهو أحد معانيها. ينظر: ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 165/9.

(5) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 150/8.

موقعُ جملةِ ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ ممَّا قبلَهُ، وبلاغتُهُ:

جملةُ ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ مقولةٌ لقولٍ محذوف، يدلُّ عليه نظمُ الكلام، وحذفُ القول في مثله شائعٌ كثيرٌ[1]، وقد وقعتِ الجملةُ من سابقتِها موقعَ التَّعليلِ، وعِظمُ الحدثِ دالٌّ على جليلِ ما أُحدِثَ من أجلِهِ، وهو الائتمارُ بأمرِ اللّهِ، واجتنابُ نواهيهِ، فقالَ مُشيرًا إلى عظمتِهِ ليشتَّد إقبالُهم عليهِ، إشارةً إلى أنَّه علَّةُ رفعِ الجبلِ: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم﴾ أي: بعظمتنا، فهو جديرٌ بالإقبالِ عليه، وأن يُعتقدَ فيه الكمال[2]، ولم يكنْ هذا الأمرُ من قبيلِ الإكراهِ على الدِّين؛ إذ هم مؤمنونَ، فهو تهديدٌ بالعقابِ على العصيان، بعد الإيمانِ وإعلانِ الإسلام، فإذا رفضوا إعلانَ الالتزامِ بالطَّاعةِ؛ كان القتلُ عقابًا عادلًا لهم، بالحدِّ الشَّرعيِّ، كسائر عقوبات الحدودِ الشَّرعيَّة[3]، وفي الآيةِ تعريضٌ بأنَّهم إذا كانت حالهم في مبدأِ أمرِهم مخالفةً كتابَهُم؛ فلا عجبَ إذا آلَ أمرُهم إلى تركِ العملِ بهِ، بعدَ طولِ الأمد، وقساوةِ القلوب، والأنس بالمعاصي والذُّنوب[4].

عِظَمُ الحدثِ لا يكونُ إلَّا لعلَّةٍ كبرى، وأعظمها تنفيذُ أوامرِ اللهِ

دلالةُ اسمِ الموصولِ ﴿مَآ﴾ في قوله: ﴿مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم﴾:

جاءَ التَّعبيرُ بالاسمِ الموصولِ الأعمِّ، إيجازًا لكلِّ ما أخبرَ عنه القرآنُ، ممَّا أوتيهُ اليهودُ من الأوامرِ والنَّواهي؛ وقد تنوَّعت أقوالُ المفسِّرين في المرادِ بالاسمِ الموصولِ، "وَلَا مَانِعَ مِنْ حَمْلِهِ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ[5]، والتَّعبيرُ بضميرِ الخطابِ للتَّأكيدِ أنَّهم المقصودونَ بالرِّسالةِ.

بيانُ حَمْلِ ما أُوتوا على جميعِ الفرائضِ والأحكامِ والأخبارِ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 165/9.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 150/8.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 150/8.
(4) الهرريُّ، حدائق الرَّوح والرّيحان: 205/10.
(5) الشَّوكانيُّ، فتح القدير: 87/1.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالقيدِ ﴿بِقُوَّةٍ﴾، وموقعهُ من الأمرِ:

تـأكـيـدُ الأمـرِ بأخذِ الشَّريعةِ بعزيمةٍ وتَصَبُّرٍ

القوَّةُ: الجدُّ والعزيمة[1]، والجارُّ والمجرور ﴿بِقُوَّةٍ﴾ متعلِّقٌ بمحذوفٍ، وقع حالًا من الواو، والمراد خذوا ذلك مجدِّين[2]، فأكَّدَ الأمرَ السَّابقَ ﴿خُذُواْ﴾ بقولهِ: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي: عزمٍ عظيمٍ على احتمالِ مشاقِّهِ[3].

سِرُّ العطفِ بالأمرِ بالذِّكرِ:

تنبيهٌ مَنْ أخذَ الأمرَ بجدٍّ وقوَّةٍ على التَّذكُّرِ، لطُروءِ النِّسيانِ على الإنسانِ

تتنوَّعُ المعاني للفعلِ في قولهِ تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾، منها: ضعوا في ذاكراتِكم ما جاءَ في الكتابِ من وصايا وأوامرَ، تستذكرونها، وتستدعونها عند مناسباتِها للعملِ بها؛ فِعْلًا فيما يجب فِعْلُهُ، وتركًا فيما يجب تركُهُ، أو: من الأوامرِ والنَّواهي وغيرهما، فلا تنسوه[4]، واعملوا بما فيهِ من الأحكامِ؛ والذِّكرُ يحتمل أن يرادَ به الذِّكرُ اللِّسانيُّ والقلبيُّ، والأعمُّ منهما، وما يكونُ كاللَّازم لهما، والمقصود منهما، وهو العملُ[5]؛ لذا جاء الأمرُ بالذِّكرِ عقيبَ الأمرِ، بأخذ ما أوتوا بقوَّةٍ.

بلاغةُ الختمِ بجملةِ الإنشاءِ غيرِ الطَّلبيِّ في قولهِ: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾:

(لعلَّ) جاءت بمعنى التَّعليلِ، ولم يغادرْها معنى الرَّجاءِ

(لعلَّ) في قولهِ: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾: إمَّا للتَّعليلِ، فيكون استخدامُها في هذا المعنى مجازًا، وفي التَّعبير بالتَّرجِّي مكانَ التَّعليلِ إلماعٌ إلى أنَّ الأخْذَ بالأسبابِ يجبُ أن يكونَ سالكهُ معلِّقًا قلبه بالرَّجاءِ من ربِّ العالمين، فكأنَّ (لعلَّ) جاءت بمعنى التَّعليلِ، ولم يغادرْها معنى الرَّجاء، فلو وقعت (كيْ) موقعها هنا ما حَسُن، ويمكنُ أن تكونَ (لعلَّ) خرجت من رجاءِ المتكلِّم إلى رجاءِ المخاطب، ويكونُ المعنى: افعلوا ذلك راجين التَّقوى، وهذا خلاصةُ كلامِ المفسِّرين،

(1) الشَّوكانيُّ، فتح القدير: 298/2.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 93/5.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 150/8.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 151/8.
(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 281/1.

فكلمةُ (لعلَّ) متعلِّقةٌ - بخذوا، واذكروا - إمَّا مجازًا يؤول معناهُ بعد الاستعارةِ إلى تعليل ذي الغايةِ بغايتِه، أي: لتتَّقوا بذلك قبائحَ الأعمالِ، ورذائلَ الأخلاق، أو حقيقة لترجية المخاطَبِ[1]، أي: راجين أن تنتظِموا في سلكِ المتَّقين[2]، وهذان المعنيانِ (التَّعليل والتَّرجية)، في (لعلَّ) لا يجتمعانِ في غيرِها من أدواتِ الرَّجاءِ؛ ففي (لعلَّ) مزيدُ تأكيدٍ في حفظِ التَّقوى والتَّهمُّم بأمرِها، وتحصيلِ أسبابها[3].

براعةُ التَّناسبِ في الختمِ بالتَّقوى:

قولهُ تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، أي: ليكونَ حالُكم حالَ من يُرجى تقواهُ، فدلَّ سبحانه بهذا على تأكيدِ المواثيقِ عليهم في أخذِ جميعِ ما في الكتابِ، وتذكُّرِ ما فيه، ليكونَ تذكُّركم لها باعثًا للعمل بمقتضاها؛ لأنَّ رجاءَ تحقُّق العملِ بمقتضاها، مع هذا الباعثِ أكثرُ منه دونَهُ؛ إذ الإهمالُ والتَّرك والنِّسيان لتعليمات الواجباتِ والمحرَّمات الدِّينيَّة يهوِّن على الإنسان معصيتَها[4]، فلمَّا كان تحقيقُ التَّقوى يكون بامتثالِ الأوامرِ واجتنابِ النَّواهي، حسن الختم لهذه الآيةِ الكريمةِ بالتَّرجيةِ في تحقيقها بعد ذِكر أسبابها؛ إذ قد سَبَقَ الأمرُ بالأخذ بما في الكتاب، وتَذكُّر ما فيه.

تحقُّقُ العملِ بمقتضى باعثِ التَّقوى أرجى في التَّحقُّقِ من دونِها

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(نتقنا) و(رفعنا):

النَّتقُ: الزَّعْزَعَةُ وَالهزُّ والجَذْب والنَّفْضُ، ونَتَقَ الشَّيءَ؛ إذا جَذَبَهُ، وَاقْتَلَعَهُ، ويُطلق على الرَّفعِ أيضًا[5]، ويكون رفعًا بِشِدَّةٍ وقوَّة،

النَّتْقُ رَفْعٌ بِشدَّةٍ وقُـــوَّةٍ، وفيه معنى التَّهديدِ والتَّهويلِ

(1) إنشاء التَّرجي أو الإشفاق في مثل لعلَّ، هذا في استعمال العباد إيَّاه، وأمَّا ما وقع في كلام الله تعالى فهو يكون للتَّرجية أو التَّخويف؛ لأنَّ الترجِّي والإشفاق مُحالان في حقِّه. ينظر: السَّمينُ الحَلَبيُّ، الدُّرُّ المَصون: 388/2، وزاده، حاشية زاده على تفسير البَيضاويِّ: 516/2، وإسْماعيل حَقِّي، روحُ البَيان: 332/1. وقد سبق ذكر ذلك بالتفصيل في تفسير الصفحة 34 من المصحف الشّريف فليرجع إليه.

(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 289/3، والآلوسيّ، روح المعاني: 282/1.

(3) ابن عطيَّة، المحرّر الوجيز: 474/2.

(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 151/8.

(5) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (نتق)، والكفويّ، الكليّات، ص: 914.

أمَّا الرَّفع: فهو خلاف الوضعِ والخفض[1]، ومعناه: جَذْبُ الشَّيءِ أو دَفْعُهُ مسافةً إلى أعلى[2]؛ يُقال: ارْتَفَعَ الشَّيءُ ارْتِفاعًا؛ إذا عَلا[3]، فالنَّتقُ رَفْعٌ بِشِدَّةٍ وقوَّة، وفيه إخافةٌ وتهديدٌ كبيرانِ؛ فالنَّتقُ أشدُّ تهديدًا وتهويلًا، لذا كانَ هو الأبَرَّ بالسِّياقِ.

(آتينا) و(أعطينا):

الإيتاءُ أقوى دلالةً مِنَ الإعطاءِ

لا يكادُ أهلُ اللُّغةِ يفرِّقون بين الإيتاء والإعطاء، لكن نجدُ في الاستعمال القرآنيِّ بعضَ الفروق الدَّقيقةِ الَّتي تُوحي ببلاغةِ القرآن وعظمته، وذلك من حيثُ إنَّ الإيتاءَ أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله؛ لأنَّ الإعطاءَ له فعلٌ مطاوعٌ، تقول: أعطاني، فعطوتُ، ولا يقالُ في الإيتاءِ: آتاني، فأتيتُ، وإنَّما يُقال: آتاني، فأخذْتُ، والفعلُ الَّذي له فعلٌ مطاوعٌ، أضعفُ في إثبات مفعولهِ من الَّذي لا مطاوعَ له[4]، فالإيتاءُ أقوى من الإعطاءِ، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عِمرانَ: 26]، لأنَّ المُلك شيءٌ عظيمٌ، لا يُعطاهُ إلَّا من له قوَّة، وكذا قوله: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [الأعراف: 171] لعظَمِ الكتابِ وشأنِهِ[5].

الوقوع والسُّقوط:

الوقوعُ أخصُّ من السُّقوطِ، وفيه معنى الشِّدَّةِ والعذابِ

السُّقوط: نزولُ الشَّيءِ من أعلى إلى أسفل، ووُقوعُهُ على الأرْضِ[6]، قالَ تعالى: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ [الأنعام: 59]، ثمَّ اتُّسِعَ فِيهِ كقوله: ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ﴾ [التّوبة: 49]، فاستعمل السُّقوطُ هُنا استعمالًا مجازيًّا، والمعنى: أنَّهم حصلَ لهم ذلك فجأةً، فهم

(1) حسن المصطفويّ، التَّحقيق في كلمات القرآن: 183/4.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نتق).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (رفع).
(4) السُّيوطِيُّ، الإتقان: 367/2.
(5) الكفويّ، الكُلِّياتُ، ص: 212.
(6) الزبيدي، تاج العروس: (سقط).

كالسَّاقط في هُوَّة، على حينِ ظَنَّ أنَّه آمِنٌ[1]. ومن معاني السُّقوط في القرآن الكريم النَّدمُ، وذلك في قول: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الأعراف: 149]، أي: اشتدَّ ندمهم وحسرتهم، كأنَّ النَّدمَ سقطَ في أيديهم، كنايةً عن حصولهِ في قلوبهم[2]، أمَّا الوقوعُ؛ فهو هُوِيٌّ أو غُؤورٌ، مع صَدْم أو غِلَظٍ وشِدَّة، في جِرْم عَريض[3]، وقد استُعْمِلَ في القرآن الكريم بدلالاتٍ مُتعدِّدة: منها سقوطُ الشَّدائدِ والعذاب، وهو أكثرُ ما جاء في القرآن من الوقوع، ومن ذلك قول الله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾ [الواقعة: 1 - 2]، وقوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١﴾ [المعارج: 1]، فالوقوع هُنا: نزولُ الشِّدَّةِ وحدوثها، والواقعة لا تقال إلَّا في الشِّدَّة والمكروه[4]؛ فمَلْمَحُ الشِّدَّة في الوقوع هو الَّذي سوَّغ استعماله في معاني نزول الشَّدائدِ والحوادث، ووجوبِ العذاب، فيتلخَّصُ أنَّ الوقوعَ أخصُّ من السُّقوط وأشدُّ[5]، لذا كان استخدامُهُ هنا هو الملائمَ للسِّياق.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 221/10.
(2) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 160/2، والكفويّ، الكليّات، ص: 521.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (وقع).
(4) الرّاغب، المفردات، ص: 530.
(5) محمّد داود، معجم الفروق الدّلالية، ص: 296.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»